الفصل السابع

القرار ٢٤٢ والصياغات المراوغة

- الطرف الأقوى هو الذى سيفرض فى النهاية تطبيق القرار بالتفسير الملائم له
- ماذا دار فى اجتماعات محمود رياض مع يارنغ؟
- رياض: لا نقبل أن تتحدثوا عن اللاجئين وكأنهم ماشية
- إسرائيل مخطئة إذا اعتقدت أننا نقبل استعادة سيناء فقط ونترك الأراضى العربية الأخرى

كانت مناورات آرثر جولد بيرغ رئيس الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة مزدوج الأهداف. لقد كان يأمل فقط أن يحث محمود رياض وزير الخارجية المصرى على أن يطلب هو من الدول غير دائمة العضوية عدم التقدم بمشروعها.. وبدلا من ذلك.. يريد جولد بيرغ أن يبشر محمود رياض بمشروع قرار أمريكى تعرف مصر مقدما ماذا يمكن أن يعبر عنه.

وهكذا بعد ثلاثة أيام فقط من ذلك «الاجتماع العاصف» بينه وبين وزير الخارجية المصرى عاد جولد بيرغ يجتمع مع محمود رياض من جديد، إنه اجتماع ٧ نوفمبر ١٩٦٧، وهو يضم الآن أيضا عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن.

وقد بدأ جولد بيرغ الحديث بأن قال لمحمود رياض: «لقد فهمت أنك طلبت من رئيس مجلس الأمن عقد جلسة خاصة»..

وبقاموس الأمم المتحدة فإن هناك مشروعا رسميا قد اكتمل، وتعرف به مصر، وتريد أن تطرحه للتصويت داخل مجلس الأمن، وفى العادة تجرى المشاورات لبعض الوقت أولا، ولكن هناك مشروعا محددا أصبح مسجلا فى جدول أعمال مجلس الأمن، والآن يجئ جولد بيرغ يكشف أوراقه هو الآخر، فلديه مشروع أمريكى يريد موافقة مصر والأردن عليه مسبقا حتى يتقدم به هو الآخر إلى مجلس الأمن، وجولد بيرغ يريد أن يقنع الوزيرين- المصرى والاردنى- بأن تلك الصياغات المراوغة التى يقرأها عليهما تعطى للعرب ما يريدونه- الانسحاب الإسرائيلى الكامل.

ورد عليه محمود رياض قائلا: قد نتفق نحن هنا على أن مشروعكم «هذا» يعنى الانسحاب الكامل إلى خطوط ٤ يونيو، ولكن هناك رجلا محايدا «ممثلا للسكرتير العام للأمم المتحدة» سيقرأ هذا القرار ليقوم بتنفيذه، لكنه سيجد نفسه أمام تفسيرات مشوشة.. إلا إذا كان لديه تفسير كامل، هذا لا يمكن أن يحدث إلا بوضعه فى القرار..

ورد جولد بيرغ: أريد أن أكون صريحا، إن سيناء هى جزء من مصر، لا شك فى هذا.. غزة يجب أن تحل نهائيا، ولكن ليس معنى هذا أن تضم لإسرائيل، الضفة الغربية لابد أن تعود إلى الأردن فى التسوية النهائية، إن لنا مشاكلنا أيضا مع إسرائيل، إسرائيل تريد المفاوضات المباشرة معكم، وتريد البقاء فى الضفة الغربية، وتريد الملاحة فى قناة السويس وثيران، ونحن نريد أن يكون الانسحاب جزءا من التسوية..

قال عبد المنعم الرفاعى: يجب أن يكون الانسحاب واضحا.. ونحن نأمل أن تؤدى هذه المناقشة إلى تعاونكم..

وقال محمود رياض: أنت قررت لى أكثر من مرة أن سيناء جزء من مصر، أعرف ذلك، أى كتاب مدرسى فى الجغرافيا موجود فيه أن سيناء جزء من مصر، والجولان جزء من سوريا، والضفة الغربية جزء من الأردن، نحن هنا نتكلم سياسة وليس جغرافيا، فإذا لم تكن الصياغات واضحة.. فليكن ألا يكون أى شىء جزءا من أى شىء.

اجتماع لورد كارادون ورياض

بعد هذا الاجتماع كانت آخر وسيلة مارسها جولد بيرغ مع محمود رياض هى من خلال اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى الأمم المتحدة، هكذا اجتمع الاثنان فى يوم السبت ١١ نوفمبر ١٩٦٧، وبدا كارادون الحديث قائلا: يجب أن يصدر قرار «من مجلس الأمن»، ومن أجل الحصول على نتائج لابد من الحصول على موافقة أمريكا، لقد ذكر الملك «حسين» لنا إنه لابد من وجود نص صريح عن الانسحاب- نؤيد هذا-، إذا وصلنا مع الانسحاب لابد أن يكون هناك شىء صحيح لابد أن نفهمه.. وأن نتحرك فى هذا الاتجاه، نريد أن نتعاون بكل قوة.. أرجو أن تذكر لى موقفك بالنسبة لهذا القرار «الامريكى» الأخير..

قال محمود رياض: موقفنا صريح ولا يتغير.

قال كارادون: «الأمريكان» قالوا وتعهدوا للملك «حسين» جولد بيرغ تعهد للملك بانسحاب إسرائيل من الضفة الغربية..

ورد محمود رياض: لا أعتقد أن كلمته تنفع.. «الأمريكان» يرفضون تفسير مشروعهم «كتابة»..

قال كارادون: أرجوك ألا تضيع هذه الفرصة..

رد محمود رياض: أنا أرفض الحصول على شىء نافع.. ولكن «هذا» قد ينفجر فى وجهى..

قال كارادون: «الأمريكان» لا يريدون تحديد صيغ معينة، ولكنهم يريدون ترك بعض الباب مفتوحا..

رد محمود رياض بوضوح وصراحة: الأمريكان يريدون ترك خريطة الشرق الأوسط لإسرائيل.. «مشروع» القرار الأمريكى يعنى هذا.

وفى النهاية قال كارادون: إن العقدة ستظل هى بين مصر والولايات المتحدة، وأضاف: إن تدخلنا بالصياغات التوافقية لا يمكن أن يبدأ إلا بعد اتفاقك أنت مع جولد بيرغ.

رد محمـــود رياض: هذا مفهـــوم.. و لكن لا داعى أن تضغطوا أنتم على الأردن أكثر مما يجب.

القرار ٢٤٢

هكذا، وبعد شهرين، توالت مثل تلك الاجتماعات فى نيويورك بين ممثلى الدول المختلفة، لم تكن تلك الاجتماعات ســوى مجرد جزء ضئيل جدا من الصورة فى الجانب الدبلوماســى من الصراع. إن مجلس الأمن يضم ١٥ دولة، من بينها خمس دول دائمة العضوية، وعشــر دول أخرى غير دائمة العضوية وإنما يتم الانتخاب للعضوية بالتناوب كل ســنتين، وللدول دائمة العضوية امتياز خاص واستثنائى اسمه حق النقض «الفيتو» فإذا وافقت ١٤ دولة مثلا على مشــروع قرار معروض على المجلس واعترضت عليه دولة واحدة دائمة العضوية وقالت «فيتو» يســقط المشروع تلقائيا ودون إبداء أية أسباب.. وإذا كان ممثلو تلك الدول يتفاوضون مع بعضهم فى نيويورك، فإن آلاف البرقيات والاتصالات والزيارات الأخرى كانت تجرى فى الواقع مع- عواصم بلادهم لبلورة موقف أو لمجرد صياغة فقرة أو تعديل كلمة، إن قرارا يصدره مجلس الأمن الدولى لن يكون نهاية العالم، ولكنه يمثل على الأقل إطارا من الشرعية الدولية لا تريد أن تسجل على نفسها الرغبة الصريحة فى انتهاكها.

فى النهاية تقدمـت بريطانيا، بطلب من الولايات المتحدة، لكى تطرح صياغات توفيقية يمكــن أن تقبلهــا مصر والجانب العربــى عموما، لم تتعهد بها الولايــات المتحدة فى نفس الوقت، وهكذا تضمنت الصيغة البريطانية الأخيرة تعديلات وإضافات جوهرية أهمها النص صراحة فى القرار على مبدأ «عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة» لأن هذا شرط جوهرى بعد أن أصبحت الحكومة البريطانية تشعر بأن المشروع الامريكى «ليست لديه أية فرصة فى النجاح»- على حد تعبير أبا ايبان وزير خارجية إسرائيل الموجود حينئذ فى نيويورك.

ولأن مصر كانت ترى من البداية أن «المكاسب الإقليمية» الحقيقية التى تريدها إسرائيل هــى تلك المتعلقة بالضفــة الغربية لنهر الأردن، فقد اعتبرت النــص على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة ضمانا إضافيا فى هذا الصدد، بعد أن: «قام آرثر جولد بيرغ مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة بإعطاء تأكيدات للأردنيين بأن الولايات المتحدة

ستعمل على عودة الضفة الغربية إلى السلطة الأردنية. وحينما قام جولد بول، الذى أصبح سفيرا للولايات المتحدة فى الأمم المتحدة فى سنة ١٩٦٨، بزيارة الشرق الأوسط فى أواسط يوليو، تم تفويضه بواسطة الإسرائيليين لكى ينقل إلى الملك حسين استعدادهم لإعادة الضفة الغربية، بتعديلات طفيفة، إلى سلطته، مقابل السلام».

لكننا ما نزال فى سنة ١٩٦٧، وحينما صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كإطار دبلوماسى توافق عليه الولايات المتحدة مع الدول الأخرى لفترة ما بعد حرب يونيو فإن القرار ينص فى ديباجته على مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة، وهو المبدأ الجوهرى الذى يقوم عليه كل ميثاق الأمم المتحدة.

وفى بنده الأول ينص القرار على إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط يجب أن يتضمن المبدأين التاليين: «أ» انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى النزاع الأخير.

«ب» إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء والاعتراف بـ- واحترام- السيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة، وبحقها فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها.

وفى بنده الثانى ينص القرار على: «ا» ضمان الملاحة الدولية فى الممرات الدولية المائية فى المنطقة.

«ب» تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

«ج» ضمان الحرية الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دول المنطقة من خلال اتخاذ إجراءات تشتمل على إقامة مناطق منزوعة السلاح.

ثم ينص القرار فى البند الثالث على قيام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين ممثل خاص «سيصبح هو السفير السويدى جونار يارنغ» للاتصال بالدول المعنية لإيجاد اتفاق والمساعدة فى الجهود الرامية إلى تحقيق تسوية شاملة مقبولة بما يتمشى مع شروط هذا القرار ومبادئه.

غموض فى الصياغة

لقد كان هذا القرار من صياغة اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى الأمم المتحدة، وهى صياغة تعمدت بعض الغموض حتى يفسرها كل طرف على هواه، فمن وجهة النظر العربية تصبح إسرائيل ملتزمة «بالانسحاب من كل الأراضى العربية المحتلة وبتحقيق تسوية عادلة لمشكلة

اللاجئين الفلسطينيين» تحددها قرارات سابقة للأمم المتحدة.. وذلك فى مقابل قيام الجانب العربى بإعلان إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والسماح لبضائعها بالمرور فى قناة السويس.

أما من وجهة النظر الإسرائيلية فإن القرار ليس حلا للتنفيذ، وإنما هو إطار لمفاوضات مباشرة تلتزم إسرائيل بعدها فقط بالانسحاب من «أراضٍ» احتلتها، وذلك حسب النص بالإنجليزية، وليس من «الأراضى» التى احتلتها حسب الصياغة باللغات الرسمية الأربع الأخرى «الفرنسية والروسية والأسبانية والصينية» وبالإضافة إلى ذلك فلابد من اتفاقات إضافية تفصيلية بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن ينتهى باتفاقات سلام تعاقدية، أما التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين فيتحملها المجتمع الدولى، وليس إسرائيل بعدها فقط بالانسحاب من «أراض» احتلتها، بتعبير «حدود آمنة» هو أن يكون لمصلحة إسرائيل وليس لمصلحة الطرفين، ومن ثم يستلزم تنازلات إقليمية عربية.. إلخ.

ولم يكن ترجيح أى من التفسيرين يعتمد على شىء أكثر من توازن القوى الحقيقى فى أرض الواقع، فالطرف الأقوى هو الذى سيفرض فى النهاية تطبيق القرار بالتفسير الملائم له.

وكانت مصر على وجه الخصوص تعرف ذلك بقدر ما تفعله إسرائيل، ومن ثم فقد كان الشغل الشاغل لمصر فى تلك اللحظة هو تعديل ميزان القوى العسكرى بأسرع وقت، لأن القضية ستحسم فى ميدان القتال وليس فى دهاليز الأمم المتحدة.

القدس.. أين الأوراق السرية؟

لكن بقفزة مؤقتة إلى الأمام وبعدما وصلت بنا الحال إلى هذه الحالة غير المسبوقة مما أسميه «الفوضى التفاوضية» بين العرب وإسرائيل، أصبح لزاما التوقف قليلا لمراجعة كل ما يجرى، والمراجعة هنا لن تكون مفيدة إلا إذا عدنا إلى الأساسيات، وأول هذه الأساسيات هو أن إسرائيل قامت فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بحرب كبرى جعلتها تحتل سيناء وقطاع غزة والجولان والضفة الغربية، وفى ذروة إحساس إسرائيل بالنشوة من انتصارها العسكرى حاولت أشياء.. نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر.

ومن بين أوجه الفشل أن إسرائيل كانت تحلم بأن تسفر مشاورات مجلس الأمن الدولى عن قرار يستبعد مطلقا أى التزام اسرائيلى بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة، وبالتنسيق مع الولايات المتحدة كان أول مشروع قرار امريكى رسمى لا ينص بالمرة على كلمة انسحاب لكن الولايات المتحدة اكتشفت فى مشاورات الكواليس فى الأمم المتحدة وقتها أن مثل هذا

المشـــروع لن يحصل أبدا على الأغلبية اللازمة داخل مجلس الأمن. من هنا دخلت بريطانيا على الخط وتقدمت بالمشروع الذى سيصبح فيما بعد قرارا من مجلس الأمن برقم ٢٤٢.

وفى جلســة مجلس الأمن رقم ١٣٧٣ بتاريخ ٩ تشــرين الثانى (نوفمبر) وقف آرثر جولد بــيرغ مندوب الولايات المتحدة ليعلــن فى المجلس: «بالنيابة عن حكومتى أتعهد لمجلس الأمن وللأطراف المعنيين بوضع نفوذنا الدبلوماســى والسياســى وراء مشروع هذا القرار فى تدعيم جهود ممثل الأمم المتحدة لتحقيق تسوية عادلة حتى يتمكن الجميع فى المنطقة من العيش فى ســلام وطمأنينة»، ثم عاد المندوب الأمريكى ليعلن فى جلســة مجلس الأمن رقم ١٣٨٢ بتاريــخ ٢٢ تشــرين الثانى ١٩٦٧ أنه يكرر التعهد نفســه من جديد أمام المجتمع الدولى. تلك هى الجلســة التى تم فيها رسميا إقرار المشــروع، ومن وقتها أصبح القرار ٢٤٢ أساس أى تسوية عربية- إسرائيلية.

وفى حينها اعتبره عرب ١٩٦٧، المهزومون لتوهم عسكريا فضيحة بجلاجل، إن القرار ٢٤٢ قــد لا يكــون قرارا مثاليا، ولكنه يمثل الحد الأقصــى لاى تنازلات عربية، لقد نص القــرار على عدم جواز الاســتيلاء على الأراضى عن طريق القوة وعلــى التزامات متبادلة، وأهم الالتزامات هنا أن تنسحب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها مقابل التزام الأطراف العربية المعنية بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

ولكن عرب ١٩٦٧ وإن كانوا مهزومين إلا أنهم لم يكونوا ســاذجين. فبادئ ذى بدء هم يعرفون أن وجود قرار من مجلس الأمن بالانســحاب الإســرائيلى الكامل لا يعنى بالضرورة أن إسرائيل ستنسحب فعلا... ولو من قبيل الكسوف، ومن هنا قررت مصر مثلا أن إعادة بناء قواتها المســلحة بالكامل ورفع تكلفة استمرار الاحتلال الإسرائيلى تدريجيا وصولا إلى إخراجه بالقوة المســلحة هو الطريق الصحيح إلى التســوية، ولن تنزعج مصر حينذاك بالمرة من حقيقة أن سوريا رفضت القرار ٢٤٢ جملة وتفصيلا بينما قبلت به مصر والأردن وبدأتا فعلا التفاوض مع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة حســب نص القرار ٢٤٢. كانت الفكرة هنــا- من وجهــة النظر المصرية- هى أن مصر تريد أساســا أن تكســب الوقت الضرورى لتســتكمل فيه إعادة بناء جيشــها، خصوصا أنها بدأت لتوها حرب استنزاف شهيرة ضد الاحتلال الإسرائيلى فى سيناء.

والآن ندخــل فى الأوراق الســرية التى تنشــر هنا للمرة الأولى، فــإلى جانب المفاوضات غير المباشــرة بين إســرائيل من ناحية ومصر والأردن من ناحية أخرى، التى تديرها الأمم

المتحدة. كانت هناك مفاوضات أخرى موازية تجرى بين مصر والولايات المتحدة على رغم انقطاع العلاقات الدبلوماسية بينهما رسميا؛ وفى شهر تشرين الثانى سنة ١٩٦٨ اجتمع وزير الخارجية الأمريكى دين راسك مع وزير خارجية مصر محمود رياض. لقد جرى الاجتماع فى نيويورك حيث كان الاثنان يحضران الدورة السنوية العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفى ذلك الاجتماع تقدم الوزير الأمريكى إلى الوزير المصرى بمشروع رسمى من سبع نقاط. وفى المشروع تعرض الولايات المتحدة على مصر رسميا، وبكلمات قاطعة محددة للمرة الأولى، انسحاب إسرائيل بالكامل من الأراضى المصرية مقابل إنهاء مصر لحالة الحرب مع إسرائيل وسماحها بالملاحة الإسرائيلية فى قناة السويس بعد اكتمال الانسحاب الإسرائيلى، وفى الاجتماع تساءل محمود رياض عن مصير الضفة الغربية والجولان، فرد عليه دين راسك قائلا: «إننى أتحدث الآن مع وزير خارجية مصر، وسأبحث الموضوع بطريقة مماثلة مع الأردن. أما بالنسبة إلى سوريا فسوف نبحث الموضوع معها حينما توافق أولا على القرار ٢٤٢».

وفى تلك اللحظة رفض محمود رياض هذا الموقف الأمريكى فى التو واللحظة ولكن دين راسك لم يقتنع بذلك الرفض وطلب من الوزير المصرى أن يحمل هذا المشروع إلى القاهرة، ومن هناك يرسل إليه فى واشنطن برد مكتوب.

وفى الأول من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٦٨ تلقت واشنطن من القاهرة الرد المكتوب رسميا، وفى ذلك الرد يحدد وزير خارجية مصر (واسمها الرسمى حينئذ: الجمهورية العربية المتحدة) أسباب رفض القاهرة لتلك الصفقة الأمريكية على النحو الآتى، حرفيا: «إن التزامات الدول العربية، المنبثقة من عضويتها فى جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع المشترك الموقع من جانبها فى إطار الجامعة، يجعل أى عدوان ضد أى منها عدوانا ضد جميع الدول العربية لهذا فإن إنهاء حالة الحرب من جانب الجمهورية العربية المتحدة يتطلب انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية».

وهذا الموقف الأمريكى الرسمى شديد الأهمية لأنه آخر موقف سجلته الإدارة الأمريكية برئاسة ليندون جونسون قبل خروجه من البيت الأبيض، وجونسون كان هو ذاته شريك إسرائيل المتواطئ معها فى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. والمنطق الأساسى فى الصفقة هو انسحاب إسرائيل بالكامل من سيناء مقابل أن تفصل مصر نفسها عسكريا وسياسيا عن الدول العربية الأخرى ومصير أرضها المحتلة.

ثم نقفز فى رحلة الملفات السرية إلى أوراق أخرى.

فمنذ حزيران ١٩٦٧ كان الزعيم الفرنسي في السلطة- شارل ديغول حينئذ- يعلن رفض بلاده أن تكون التسوية بين العرب وإسرائيل احتكارا أمريكيا سوفيتيا، ومن هنا نادى ديغول علنا بأن التسوية يجب أن تكون محل تشاور بين «الدول الأربع الكبرى» يقصد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا. ولكن رعونة جونسون وارتباطه بإسرائيل جعلاه يرفض فكرة ديغول متهكما بأنه يعرف فقط بوجود دولتين كبيرتين في العالم- وليس أكثر- هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

مع تسلم ريتشارد نيكسون مقاليد السلطة في البيت الأبيض في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ خلفا لجونسون، اقر لتوه بفكرة ديغول. ففي نهاية المطاف تبقى فرنسا وبريطانيا حليفتين للولايات المتحدة ولهما مصالحهما المشروعة في الشرق الأوسط. ومن هنا بدأ في نيويورك ما سمي «المشاورات الرباعية»، وهي اجتماعات مغلقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا على مستوى ممثل كل منهم في الأمم المتحدة (جورج بوش أصبح في مرحلة تالية ممثل أمريكا في تلك الاجتماعات). اجتماعات كانت تعقد بالتوالي في منزل كل منهم حتى تكون بعيدة عن الأضواء والهدف منها أساسا هو تنفيذ القرار ٢٤٢ على أرض الواقع ضمن برنامج محدد وتعريفات محددة ومتفق عليها.

حتى سنة ١٩٧٠ تأكدت الولايات المتحدة أنه إذا استمرت في تبني الموقف الإسرائيلي فإنها ستصبح مغلولة تماما في تلك المشاورات. أما الضاغط الأكبر فأصبح حرب الاستنزاف المصرية التي أصبحت بدورها انعكاسات إقليمية ودولية أوسع كثيرا من جبهة قناة السويس، هكذا، وبالتدريج، أصبح الموقف الأمريكي يتطور، أساسا بدماء المقاتلين المصريين برا وبحرا وجوا، وأيضا بحكم الموقف الذي يجمع بين باريس وموسكو ولندن في مواجهة واشنطن وكانت مصر من جانبها تتلقى أولا بأول نسخة من محاضر تلك الاجتماعات المغلقة في نيويورك على مستوى ممثلي الدول الأربع الكبرى، وهي تتلقاها من مصدرين أولا- من الولايات المتحدة ذاتها على رغم حقيقة انقطاع العلاقات الدبلوماسية. ثانيا- ومن الاتحاد السوفيتي. لابد أيضا أن الأردن كان يتلقى معلوماته الأمريكية لأنه على الأقل لم يقطع علاقاته الدبلوماسية مع الولايات المتحدة.

وفي هذا الإطار نستطيع قراءة الأوراق السرية التي تنشر هنا للمرة الأولى. والورقة الأولى هي محضر اجتماع ممثلي الدول الأربع الكبرى المذكورة في نيويورك بتاريخ الثامن عشر من حزيران سنة ١٩٧٠ لقد نص قرار مجلس الأمن على وجود حدود آمنه أصبحت

إسـرائيل تزعم أنها امتياز يخصها ويسـمح لها بالتالى بأن يكون انسحابها منقوصا. والآن تتفـق الدول الأربع الكبرى على أن «الحدود الامنه، يجب أن تكون: هى الخطوط القائمة قبل نزاع حزيران (يونيو) ١٩٦٧» أو «خطوط هدنة ١٩٤٩، مع موافقة الأطراف على إجراء تعديلات طفيفة فى حالات خاصة»، ثم فى جلسة بتاريخ السابع من تموز (يوليو) ١٩٧٠ جرى تحديد معنى «التعديلات الطفيفة» على النحو التالى حرفيا: معايير تقرير التعديلات الطفيفة هى اعتبارات الأمن المحلى والقضاء على المعوقات التى تعرقل المواصلات الداخلية أو المراقبة العادية للحدود أو أية معايير أخرى يتفق عليها، ثم فى الجلسـة التالية بتاريخ التاسـع من تموز (يوليو) ١٩٧٠ أضيف إلى ما سـبق: «اعتبارات حسن سير العمل الإدارى أو الاقتصادى».

وفى كل الأحوال فإن التعديلات الطفيفة المقصودة تنطبق فقط على حدود الضفة الغربية مع إسرائيل، ولأسباب إدارية وإنسانية بحتة، وفى نهاية المطاف فإن أى تعديلات طفيفة هنا يجب ألا تعكس ثقل الاحتلال العسكرى.

ولا نريد الاسترسـال هنا فى رحلة الملفات السرية إنما المهم هنا أمران فأولا: حتى سنة ١٩٧٠ لم يكن هناك أى جدل فى التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل من سيناء وقطاع غزة والجـولان والضفة الغربية، والجـدل الوحيد الذى أقرت به الولايات المتحدة رسميا يتعلق بالضفة الغربية وهو جدل لا يتعلق بدوره بمبدأ الانسـحاب الإسـرائيلى الكامل وإنما فقط بتعديـلات طفيفة وإدارية مثل حالة أن تكون خطوط هدنة ١٩٤٩ قد قسـمت قرية واحدة إلى شـطرين، وثانيـا- أن الولايات المتحدة هى بذاتها التـى أبلغت مصر والأردن بموقفها التفصيلى هذا، وبذلك القدر من التحديد.

نعود بعد هذه الإطلالة إلى الشـغل الشاغل للمصريين وتركيزهم على تعديل ميزان القوى وأن القضية ستحسم فى ميدان القتال وليس فى دهاليز الأمم المتحدة.

عبد الناصر: كسب الوقت للإعداد العسكرى

وطبقا لاجتماعات مجلس الوزراء فى مصر، ففى جلسة ٧ ابريل ١٩٦٨ قال عبد الناصر: «فى تقديرى أن مهمة يارنغ لن تصل إلى اتفاق مشرف بالنسبة لنا، كما أنى أقرر أنه سيبقى حوالى سـنة ونصف السـنة، يعنى ١٨ شـهرا، وفى الآخر يصل إلى لا شىء، فى الواقع،

أحنا فى حاجة إلى هذا الوقت لإعداد قواتنا المسلحة، أما بالنسبة إلى الرد على الموضوعات التى عرضها يارنغ، فإذا قلت له: «من حيث حق الحياة، فإحنا فى مصر محتاجين فى حاجة إلى هذا الحق مثل إسرائيل».

– من حيث الحدود فلا توجد مشكلة حدود بيننا وبين إسرائيل أصلا، إذ إن الحدود المصرية معروفة ومثبتة منذ مئات السنين.

– من حيث المرور فى خليج العقبة، فإننا نحتفظ بحقنا فى عرض ذلك على محكمة دولية.

– من حيث المرور فى قناة السويس، فنحن موافقون على المرور فى القناة بشرط أن تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بشأن الفلسطينيين.

– من حيث المناطق منزوعة السلاح، فنحن موافقون عليها بشرط أن تكون على جانبى الحدود.

– من حيث تواجد قوات طوارئ دولية، فنحن موافقون عليها بشرط أن تكون أيضا على الجانبين، هنا وهناك، وفى رأيى، أننا يجب أن نستفيد من مهمة يارنغ لكسب الوقت للإعداد العسكرى لقواتنا المسلحة».

مهمة يارنغ أمام الطريق المسدود

وفى الحقيقة فقد كانت مباحثات جونار يارنغ ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة تسير فى طريق مسدود وتدور فى حلقة مفرغة، ويبدو ذلك واضحا من خلال استعراض بعض محاضر اجتماعاته مع وزير الخارجية المصرى محمود رياض، وهى وثائق تنشر لأول مرة.

فى يوم ١٣ فبراير ١٩٦٨ اجتمع محمود رياض مع يارنغ ودار الحوار على النحو التالى:

جونار يارنغ: ..(حديث عن قضايا إنسانية تتعلق بمدنيين مصريين مفقودين فى سيناء ونتائج اتصالات الصليب الأحمر مع إسرائيل بشأنهم...).

أمضيت يومين فى القدس– الأحد والاثنين– و(سأطير) باكرا إلى عمان، إنهم كانوا يتناقشون فى الحكومة عن الـ Approval الذى كنا نبحثه سويا هنا. قلت لهم ما ذكرته لى فى المرة الماضية، اجتمعت مع إيبان أمس، وبعد مغادرتى كان سيتم اجتماع بينه واشكول،

الجـــواب الذى قالوه لى. أعاد ذكر أنهم ســيتعاونون معى فى مهمتــى.. لا تغيير هناك.. إن إســرائيل مســتعدة للتفاوض فى كل الأمور الموجودة فى القرار (٢٤٢) والتى يرغب احد الأطراف ذكرها.

ثم ذكر أن أشــكول قال فى بيان ٨/ ١/ ١٩٦٨ احترام إســرائيل للقرار رغبة فى التعاون مع المجتمع الدولى. قال إنه يفهم أن مصر مســتعدة لقبول القرار وأنها مســتعدة (للتنفيذ) على أساسه.

المرحلة الثانية هى جمع الأطراف عن طريقى.. هذه هى الخطوات.

محمود رياض: يبدو أننا مقدمون على مرحلة طويلة فيها اللعب بالألفاظ. ويبدو أننا لا نتقدم وأنه.. من ناحيتنا لا يمكننا أن نذكر أى شىء جديد أو أن نضيف إلى ما قلنا.. إلا إذا سمعنا منهم أنهم مستعدون لتنفيذ القرار ولا يحيلون الأمر إلى بيانات قالوها، أو خطب أعلنوها، وإذا صمموا على المفاوضات المباشرة فلن ينفع، وأننا مصممون على التفاوض عن طريقك.

جونار يارنغ: هذا لن يقبلوه لأنه سيكون صعبا جدا.

المهم هو التنفيذ

محمــود ريــاض: هذا موقفهم. ونحن نعتقــد أنهم لا يريدون تنفيذ القــرار، ولذلك هم يعملون على المفاوضات المباشــرة. إلا فلا داعى أن يصمموا على هذا. على أية حال أنا لا أدخل فى مناقشة هذا الموضوع. وأن الموضوع الهام الآن هو.. هل هم مستعدون لتنفيذ القرار أم لا؟. موقفهم غير واضح، أما كيفية تنفيذ القرار فإننا كما ذكرت لك مســتعدون للمناقشة معهم، وإن عليهم الآن أن يقدموا مقترحات التنفيذ.

جونار يارنغ: أليس هذا ما اقترحوه؟.

محمــود رياض: لا.. هذا ليس للتنفيذ.. نحن كذلك لدينا أفكارنا عن التنفيذ، على أية حال هذا هو الموضوع الثانى، وأما الموضوع الأول فهو التنفيذ. التنفيذ هو ما يســتعمل فى الأمم المتحدة.. هل نحن بصدد تنفيذ أم لا؟. إذا قلنا نحترم فقط فليس لهذه الكلمة مدلول معين سوى الاحترام للقرار، ولم نسمع منهم أى كلمة عن تنفيذه، وإن كل ما نسمعه منهم هو التفاوض. وذلك لأنهم لا ينون التنفيذ. والمفاوضات ستبحث فى وقت ما بعد أن يكون قد اتفقنا على كل شىء. وهذا..

جونار يارنغ: التنفيذ الكامل إذا اتفق عليه يجب أن تتبعه مفاوضات بعد ذلك.

محمود رياض: هذه هى آراؤهم، ولنا نحن كذلك آراؤنا فى كيفية التنفيذ.

جونار يارنغ: أهم شىء هو إنهاء حالة الحرب.

محمود رياض: كما قلت لك هذا يمكن إنهاؤه عن طريق الإعلانات، خاصة أنه ليس هناك شىء لنبحثه هنا، وكل ما يحدث إصدار بيانات على نفس اللغة التى أصدرها مجلس الأمن، وأن يودع هذا فى المجلس، لغة القرار صريحة وجيدة، وبذا يمكن عمل هذا حتى فى طريقك أنت، وحتى إذا وضعت فى تقريرك أننا قبلنا القرار نكون قد قبلنا إنهاء حالة الحرب..

جونار يارنغ: وكذلك الملاحة؟.

محمود رياض: نعم، وسيكون هذا بمثابة التزام من ناحيتنا.. لكن القول بأنهم يحترمون القرار لا يعنى الالتزام بتنفيذه.

جونار يارنغ: هذا صحيح، لقد قلت لهم، لقد ذكرت لهم كلامك بكل وضوح.

لا تتحدثوا عن اللاجئين وكأنهم ماشية !

محمود رياض: هم فى الواقع لا يلعبون فقط بألفاظهم، ولكنهم يلعبون بأقوالنا نحن، وهذا ذكاؤهم، وعلى هذا فلا يمكن أن أقول: إننا تقدمنا، بل نحن فى نفس الموضع، إذا قالوا: إنهم يحترمون هذا من قبيل التلاعب بالألفاظ ولكن هناك فرقا بين respect وimplement.

يجب أن نكون واضحين جدا. respect يعنى أن نجلس ونتفاوض ونتباحث فى كل الأمور، ولكن عندما نبحث التنفيذ لا يمكن أن نقول إنهم تعهدوا، وبالطريقة هذه يكونون قد أخذوا كل ما جاء بالقرار كمبادئ فقط قابلة للمفاوضة.

الملاحة مثلا ليست مسؤوليتى أنا أتفاوض على تنفيذ القرار، فإذا جئنا إلى هذا الموضوع مثلا وسألتنى عن هذا الموضوع لا يمكننى أن أقبل هذا أو أقبل الكلام عن اللاجئين وكأنهم ماشية، يجب على الفلسطينيين أن يقولوا شيئا عن هذا، لا يمكن أن أناقش فيه، هذه مسئولية الأمم المتحدة، يجب مناقشتها فى الأمم المتحدة ويجىء القرار من ناحيتها ولا يجىء منى أنا لأنها ليست مسئوليتى أنا، الأمم المتحدة تقرر هى نفسها إذا كانوا يعودون أو لا، هذه ليست مسئوليتى، ولا قوة لدى لإرغام اللاجئين بعمل حل معين، لماذا تضطلع مصر.. هل لان لديها بضع آلاف من اللاجئين؟ لا.. فى كندا أكثر من هذا، إسرائيل هى المسئولة، ومع من؟ مع الطرف الآخر وهو الأمم المتحدة والفلسطينيون، وعلى هذا فهذه النقطة كما جاء فى المجلس ليست مسئوليتى، أما أن تحضر إسرائيل وتريد مناقشة

هـذا الموضوع معى، فسـأقول إننى لا دخل لى فى هذا. يحب أن يعطيك السـكرتير العام صلاحيات لمناقشة هذا معهم، أنا باعتبارى عضوا فى الأمم المتحدة أقول إننا...

جونار يارنغ: ولكن تنفيذ القرار يتضمن معالجة هذا الأمر..

محمود رياض: هذا القرار ليس موجها لى..

جونار يارنغ: every state in the area– الأربع دول.

محمود رياض: لماذا.. ولماذا لا تكون الدول الأخرى؟

جونار يارنغ: هل أخذوا دورا فى الحرب...؟

محمـود رياض: لبنان مثلا.. العراقيون حاربـوا.. under command وعلى أية حال نتكلم هنا عن قوات من الجزائر..

جونار يارنغ: ولكن لم تشترك هذه القوات.

محمود رياض: ولكن كانوا تحت قيادة اللاجئين سـنقول رأينا، ولكن ليس معنى هذا أنها مسـؤليتى.. أنا لا أتهرب من المسـئولية.. وأنا سـأقول طبعا رأيى فيما يجب عمله تجاههم.. يجب عودتهم إلى أوطانهم..

جونار يارنغ: يعطوا الفرصة لبلادهم..

محمود رياض: رأى مصر أن يعودوا..

جونار يارنغ: ولكن.. إذا رفضوا العودة؟

محمود رياض: بهذا يكونوا قرروا هم أنفسهم..

جونار يارنغ: نعم.. هذا حق كل شخص أن يقول كلمته..

محمود رياض: للأمم المتحدة أن تتخذ أى قرار، وهناك قرارات مثلا فى هذا الشـأن، ونحن، ولو أننا نعتقد أنهم يجب أن يعودوا حتما، إلا أننا نقبل قرارات الأمم المتحدة لأننا نصوت فيها، على أية حال، ما أقوله هو أن الموضوع ليس مسـئوليتى. ليس لأن إسرائيل هاجمتنا مثلا فنجد أنفسنا مطلوبا منا حل مشكلة اللاجئين، ولكن فيما يتعلق بالعدوان فأنا طبعا ملزم بحله، هناك أمران.. العدوان وهذا يصيبنى مباشرة والنقطة الأخرى هى خاصة بفلسطين ومنها اللاجئون، أنا طرف مباشر للأول ولست طرفا مباشرا للثانى، ولذلك، فإذا قلت لى أن أتفاوض فى الثانى لا يمكن، أنا لا أضمن أن تكون هناك تسوية نهائية.

كل ذلـك أقوله لأننى أعتقد أنهم لا يريدون تنفيـذ القرار، وإذن فإنهم يعملون على أن نبحـث فى كل هذه الأمور، والمهم هو قبول القرار. ونحن على اسـتعداد لتنفيذ التزاماتنا

تحت القرار، ولذا يجب أن نعلم منهم أنهم مستعدون لتنفيذ القرار.. الانسحاب- اللاجئين- يجب أن نسمع كيف سينفذونه.

جونار يارنغ: يجب أن نستمع منهم الآن عما إذا كانوا ينوون تنفيذ القرار ويوفون بالتزاماتهم في ظله.. وأن مصر مستعدة لعمل الشيء المماثل.

محمود رياض: عندما قلنا إننا مستعدون لتنفيذ القرار كنا نعني أننا مستعدون لتنفيذ التزاماتنا طبقا للقرار.

جونار يارنغ: وإذا تم هذا تجيء الخطوة التالية.

محمود رياض: سنتناقش سويا في كيفية تنفيذ القرار، ولهذا نريد أن يوضح كل طرق كيف يمكن تنفيذ هذا.

جونار يارنغ: أنا أعلم ما تريده إسرائيل في هذا، من أنها ستبحث مرة أخرى لتقول إنه يجب to have a discussion وأنتم تقولون إن هناك طرقا أخرى.

محمود رياض: لقد أعطيتك بعض الدراسات..

جونار يارنغ: ولكن هذا يتعلق بنقطة واحدة.

محمود رياض: نعم.

جونار يارنغ: هذا مفيد جدا well very good.

محمود رياض: هذه نقطة يجب أن نكون واضحين فيها تماما، وبهذا نتفادى مشاكل كثيرة في المستقبل، أعضاء المجلس الذين أقروا القرار يجب أن يكونوا عالمين تماما بكل هذا، واضح عندما أقروا القرار كان لابد في رأيهم أن القرار يجب تنفيذه وليس احترامه فقط.

غزة مثل سيناء

جونار يارنغ: هذا طبعا طبقا للميثاق، طبيعي أن قرار المجلس يجب تنفيذه، ولكن أعلم أن هناك أمورا أخرى لم تنته بهذا.. وهي حالات أنتم لستم بعيدين عن بعض جوانبها. طبعا تشكون من أنهم لن ينسحبوا إلا على أساس أمور أخرى.

محمود رياض: الأمر أكثر من ذلك. ما نسمعه منهم كل يوم أنهم ينوون الاحتفاظ بأراضينا..

جونار يارنغ: هل قالوا هذا عن مصر؟

محمـــود رياض: أنا أتكلم عن الأراضـــى العربية، وإذا تكلموا عن مصر وتركوا غزة وهى تحت مسئوليتنا يكونون مخطئين.

جونار يارنغ: لقد قلت لى هذا ووضعتها فى مذكراتى..

محمود رياض: نحن نعامل غزة كما نعامل سيناء دون أى شك ولا تردد.

جونار يارنغ: أظن أنه معروف أن إسرائيل يجب أن تترك غزة..

محمود رياض: إن مســتقبل هذا القطاع ســيكون للعرب أنفسهم الذين يسكنونه، ونحن لم نضمهــم إطلاقــا. إننى أريد أن أذكر صراحة لأن «آرثــر» جولد بيرغ تكلم عن أنه ليس هناك مشــكلة عن الأراضى المصرية، ولم أرد عليه فــى المرة الأولى، ولكن بعد ذلك ذكرت له صراحة الأراضى العربية، جولد بيرغ هو الآخر كان يلعب معى طول الوقت.. تكتيك.. عندما أتكلم عن الانســحاب أعنى الأراضى العربية كلها، لا أتكلم عن سيناء مثلا.. لأنهم ســيتركونها يوما ما ونحن ســنجبرهم على ذلك، وإذا اعتقدوا أننى مســتعد للتفاوض عن سيناء ولا أتكلم عن الاراضى العربية الأخرى سيكونون مخطئين جدا، وإذا أرادوا أن يمكثوا ســنه أخرى.. فليكن، لذلك عندما أتكلم عن الانســحاب أرجــو أن يكون مفهوما تماما.. الانسحاب من جميع الأراضى.

هذا هو السبب فى أننى أريد منهم أن يتعهدوا بتنفيذ القرار، ليتخذوا مواقفهم أمام الرأى العــام العالمى وأعضاء مجلس الأمن الدولى والدول الكبرى، نحن نريد أن نســتمع كذلك من هــذه الــدول إذا كانت تريد أن ترى القرار منفذا، أو أنها تعتقد أنه «إعلان نوايا» وفى ضوء هذا نأخذ قرارا عن أنفسنا وهل نذهب ونجلس معهم ونوقع اتفاقية تسليم أو لا، يجب أن تكون هناك نهاية طبعا، ولكن كيف يكون هذا.. لا أدرى، ولكن لا يجب أن نخدع.

جونــار يارنغ: أنت واضح تماما، لقــد قدمت هذا لهم بكل وضوح... وكل ما ذكرته لى اليوم هو ما أفهمته لهم، وعلى أية حال سأذكر لهم ذلك مرة أخرى.

محمــود رياض: حســنا أن نجرب مرة أخرى، نحن نعلــم أن أعضاء مجلس الأمن لهم وجهة نظرهم.. كيف ســيتصرفون وفى أى اتجاه، نحن لن نخبر أيا منهم لاتخاذ قرار أو اتجاه معين، لكن الوقت ســيأتى عندما نطلب من كل منهم أن يذكر شــيئا. هذه المرحلة صعبة طبعا. نحن نعرف ذلك، هذا أمر ليس من الهين أن نراه مطبق.

جونار يارنغ: ليس ســهلا. هذا ما يمكننى أن اتفق عليه معك. لا أدرى كيف ســيكون الحل، لكن على أية حال فالأمر يستحق المحاولة مرة ثانية، هذا شىء مقنع.